

فكرة السلام بين عمق النظر وإمكانية التطبيق عند هابرماس

The idea of peace between profound insight and the possibility of application according to Habermas

المركز الجامعي نور البشير-البيض- (الجزائر)
فلسفة وحدة البحث علوم الإنسان للدراسات الفلسفية،
الاجتماعية والإنسانية URSH

رفاس نور الدين * REFFAS Noureddine
n.reffas@cu-elbayadh.dz

تاريخ النشر: 2025-12-31

تاريخ القبول: 2025-12-26

تاريخ الإرسال: 2025-07-30

ملخص:

تعد فكرة السلام والتسامح من الأفكار المتجذرة عبر التاريخ، والبحث عن تحقيقها حتمية لا يمكن تجاوزها، نظرا لصلتها الوطيدة بحياة الإنسان داخل مجتمعه، ولأن المجتمعات تغيرت مع تطور الآليات والأدوات المعرفية بمختلف أشكالها، أصبحت حياة البشرية مهددة بالخطر جراء هذا التطور، ويتضح ذلك جليا من خلال الإبداعات في طريقة الحروب (حرب الأسلحة، الحرب البيولوجية... الخ) والفقدان الهائل للأشخاص. والأدهى والأمر هو اللامبالاة من وراء هذا الفقدان. فأصبح من الضروري العودة إلى الذات ومراجعتها قصد تصويبها وإعادة بنائها وفق ما يحقق الطمأنينة والاستقرار. ولا يتأتى ذلك إلا بنشر فكرة السلام والتصال مع الغير والعودة إلى المبادئ الأخلاقية الحقة التي من شأنها الحفاظ على كينونة الفرد داخل عالمه المعاش، و"يورغن هابرماس" واحد من الفاعلين في هذا السياق، نسعى من خلال فكره الفلسفي إلى الوقوف على أهم الشروط اللازمة لإعادة بعث روح المواطنة والسلم، وإلى أي مدى يمكن تجسيده في الواقع .

الكلمات المفتاحية: المجتمع؛ السلام؛ الاهتمام؛ الحروب؛ الذات

Abstract:

The idea of peace and tolerance is one of the deeply rooted ideas throughout history, and the pursuit of achieving it is an inevitability that cannot be bypassed, given its close connection to human life within society. As societies have changed with the development of cognitive mechanisms and tools in their various forms, human life has become threatened by this very development. This is clearly evident through innovations in methods of warfare (weapon-

* الباحث المرسل: noureddinereffas@gmail.com

based wars, biological warfare, etc.) and the enormous loss of lives. What is even worse and more bitter is the indifference surrounding this loss. Consequently, it has become necessary to return to the self, review it, correct it, and rebuild it in a way that achieves tranquility and stability. This can only be accomplished by promoting the idea of peace, reconciliation with others, and returning to true ethical principles that preserve the essence of the individual within their lived world. Jürgen Habermas is one of the key figures in this context; through his philosophical thought, we seek to identify the most important conditions necessary for reviving the spirit of harmony and peace, and to what extent it can be embodied in reality.

Keywords: Society ; Peace ; Concern ; Wars ; Self.

1. مقدمة:

يعد الحرب والسلام مفهومين ملازمان للقانون الطبيعي، حيث أن استمرارية النظام الطبيعي لا بد له من وجود صراعات وحروب ليسير القانون الطبيعي، وإننا نجد تمظهر لذلك فيما يحدث بين الكائنات الطبيعة من صراعات، وعنّف الوضع نفسه يسير على النوع البشري إذ أن الصراع والحرب ضرورية لاستمرارية الحياة، وقد سجل لنا التاريخ البشري أول جريمة قتل حدثت حين قتل قابيل أخيه هابيل، ولكن على الرغم من اعتبار مفهوم الحرب مفهوما مرتبطا وملازما للقانون الطبيعي واستمراره، ألا يمكن لهذا الإنسان الموهوب بملكة العقل التي تمنحه التفكير في الكون والسيطرة على نظامه والعيش في أمن وسلام؟ بالطبع ممكن، وتباعا لذلك ستصبح فكرة السلام ملازمة للحرب. فالأولى لاحقة والثانية سابقة، حيث نجد منذ نشوب أولى الحروب بين البشرية فإن هناك محاولات لاستتباب السلم والأمن داخل المجتمع البشري والدعوة لإقامة نظام كوني آمن خالي من الحروب، ومن بين المحاولات على مستوى الفكر الغربي المعاصر نستحضر محاولات الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس الذي ذاع صيته على الساحة الفكرية والسياسية والفلسفية إذ تعد محاولاته بحق من بين المحاولات التي تستحق الاهتمام، ذلك حين كانت دعوته إلى محاولة إقامة نظام كوني عالمي يخلو من الحروب والصراعات، وأيضا جراء معاشته للحربين العالميتين وما شهدته من سفك للأرواح وانتهاك للقيم التي دعا إليها مشروع الحداثة، وقد كان مشروعه امتدادا لفكرة السلام الدائم التي قال بها كانط، ولأجل ما سبق ذكره نطرح التساؤل التالي: إلى أي حد يمكن للمشروع الهابرماسي

القائم على مشروع العقلانية التواصلية من تحقيق وتجسيد فكرة الكونية التي تهدف إلى تحقيق السلام والعيش معا في ظل الصراعات الثقافية والدينية والإيديولوجية ؟

2. مفهوم الحرب والسلام:

يقتضي منا قبل الإقدام على أي بحث معرفي إلى التحديد للمفاهيم، وذلك ما دأب عليه التفكير الفلسفي بل اعطى أهمية قصوى للجانب المفاهيمي للموضوع المدروس وذلك حين قال فيلسوف فرنسا "جيل دولوز" بأن الفلسفة اليوم مهمتها صناعة المفاهيم، ولابد لنا نحن من خلال دراستنا أن نسير وفق تقاليد الفيلسوف فلن نتقدم خطوة دون تحديدا واضحا للمفهومين " الحرب والسلام" وسنبدا بالحرب كونه الأسبق زمنيا فنقول إن كلمة حرب حسب القانون الدولي القديم بأنها نزاع مسلح بين دولتين أو أكثر، ويترتب عليه استبدال حالة العداء بحالة السلم ويكون الغرض منه الدفاع عن حقوق الدول المتحاربة ولا بد من توفر عناصر أربعة وهي العنصر العضوي والذي يتعلق بأطراف النزاع والثاني في الإرادة وفيه يتعلق الأمر بتوفر الإرادة والرغبة في القتال وهناك عنصر مادي وهو وجود الاشتباك ليحدث الاحتراب وهناك عنصر رابع متمثل في السببية ويتعلق بتوافر المصلحة الوطنية،¹ أي أن الحرب هنا مرتبطة بالدفاع عن النفس، وهنا قد تتداخل مع مفهوم الجهاد، وبالتالي تكون مشروعة كما أقرها الإسلام في فلسفته وذلك يتبين قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم "، لهذا فإن ابن خلدون يحدد المفهوم بدقة عندما يقول بأن الحرب أنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منهما أهل العصبية، فإذا تدمروا لذلك الطائفتان فإن إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع وعندها تكون الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلوا منه أمة ولا جيل "² يتضح من خلال تعريف ابن خلدون أن الحرب ظاهرة ليست حديثة بل هي مرتبطة بالإنسان منذ الأزل وقد ارتبط حدوثها بحب التملك والسيطرة من طرف على آخر أو أحيانا نتيجة عدم اتفاق بين أطراف معينة، فحينها يحدث ما يسمى بالتحالفات والخيانات من جانب آخر، وعلى أثرها تحدث

¹ - قدور نورة، قيم الحرب والسلام في فكر برتراند راسل، مجلة متون، جامعة سعيدة، ع 14، م 2، ص 126.

² - ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الميرية، القاهرة، مصر، 1965، ص 270.

الحرب، وهناك من يؤكد قولنا هذا بقوله "إنها حالة صراع مسلح بين دولتين أو عدة دول ينطلق بإعلان الحرب وينتهي باستسلام أحد الأطراف أو توقيع معاهدة السلام بين الدول.¹ كان ما سبق ذكره الحرب في معناه العام والذي يشترط وجود صراع بين أطراف لأسباب متعددة، أما الحرب سياسيا فيبقى النظر إليها من حيث شرعيتها أو عدم شرعيتها والملفوفة على غرار بقية الموضوعات، فإنها وجهات النظر حول شرعيتها تختلف حسب الإيديولوجيات والتوجهات السياسية والدينية والاجتماعية كحالة الحرب اليوم الواقعة في غزة التي عرت ادعاءات الفكر الغربي الذي كثيرا ما تغنى بالإنسانية والسلام ولناخذ بعضا من هذه القراءات والتوجهات حول عملية الحرب فهذا قول "لينين" الشيوعي الماركسي الذي قال في شأن الحرب بأنها إما أن تكون مشروعة أو لا تكون وإما أن تكون ثورية دفاعية أو لا تكون وذلك وفقا لأهدافها وبحسب الطبقة التي تشنها وتبعا للسياسة التي تثيرها، فالحرب التي تعلنها القوى التقدمية الاشتراكية ضد القوى الاستعمارية الإمبريالية والرجعية التي تمثلها الرأسمالية تعد حربا مشروعة، وتخل في إطار الثورة ضد الطبقات الكادحة المسحوقة والشعوب المضطهدة، ومن هذا المنظور يعد حلف وراسو حلفا دفاعيا والحلف الأطلسي حلفا عدائيا²

أما الحرب من وجهة نظر الرأسماليين عكسية تماما، فهم يرون أن الحرب ضد الشيوعية شرعية ولازمة لمنع التيار الإلحادي من الانتشار وكم استغلوا شعوبا مسلمة لزجها في مثل هذه الصراعات تحت شعار محاربة الإلحاد دون أن تدري هذه الشعوب الأهداف الحقيقية للقوى الرأسمالية تماما كما استغلت من قبل القوى الاشتراكية لزجها في الصراع ضد الرأسمالية تحت شعار التحرر من الإمبريالية والاستعمار، ومن هذا المنظور يعد الحلف الأطلسي حلفا دفاعيا وحلف وارسو حلفا عدائيا.³

لاحظنا من خلال التعريفين أن الحرب أو القتال مفهوم يتداخل من حيث شرعيته ما بين الحرب والدفاع عن الناس وذلك لاعتبارات متعددة، من هنا فالحرب شرعية إذا كان الهدف منها دفاعا عن المظالم وعن الأرض، فمثلا حرب الصهاينة على فلسطين يعتبر

¹ - قدور نورة، قيم الحرب والسلام في فكر برتراند راسل، مرجع سابق، ص 126.

² - يحيى الشهابي إبراهيم، مفهوم الحرب والسلام في الإسلام صراعات وحروب أم تفاعل في الإسلام؟ منشورات مؤسسة مي للطباعة والنشر، لم يذكر البلد، ط 1، 1990، ص 41.

³ - المرجع نفسه، ص 42.

استعماراً وردة فعل الفلسطينيين تعتبر دفاعاً وبالتالي هنا الحرب مشروعة، وليس مشروعة تلك الحرب التي أعلنتها أمريكا على العراق بحجة محاربة الإرهاب، وبين شرعية الحرب من عدمها هناك من يرى بأن الحرب ضرورية للاستمرارية، وذلك ما أكدّه صاحب الفلسفة المثالية والجدل المثالي القائم على فكرة الأضداد التي استمد منها "هيجل" وجهة نظره حول الحرب، حيث يرى أن: "الحرب المدمرة شرط أساسي للصحة الأخلاقية للشعوب إذ بدون الحرب أو التهديد بالحرب ربما يواجه شعب خطر فقدان الحس بالحرية، وبالتالي فإنه يستسلم للحياة المادية كما أن السلم الذي يدوم طويلاً ربما يقود أمة إلى ضياع مطبق¹، اقترن مفهوم الحرب عند هيجل بالصراع الديالكتيكي الذي يفرضه نظام الطبيعة الذي يصارع الاستمرارية بناءً على مبدأ الضد، فكما يوجد في الطبيعة الحرارة والبرودة، الحياة والموت، فالحرب والسلم ما هما إلا مفهومين عقليين وجودهما ضروري لاستمرارية الحياة، ومن هذا المنطلق فإن الحرب عموماً كما يراها الغرب الأوروبي أنها ظاهرة مطهرة بالنسبة للشعوب لهذا فإن هذه الشعوب تمجد البطولات وتربطها بالحرب والإنجازات، أما الحرب في الإسلام فهو ظاهرة غير مرغوب فيها، لأن الأصل في الحياة البشرية هو التفاعل السلمي والحضاري، أما القتال أو الاقتتال فهو خروج عن الأصل وانحراف عن المسار الطبيعي الذي ينبغي للشعوب سلوكه من أجل تحقيق رسالة الإنسان في الأرض²، الذي جعل خليفة الله عليها وذلك ما قاله الله تعالى في محكم تنزيله: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ" ³، تبدو قراءة الإسلام للحرب واضحة في تعليمه سواء على مستوى الكتاب أو على مستوى هدي النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فالرسالة بينة من خلال اسم الدين وهو الإسلام وهو من السلام، وبالتالي نبذ وكره الحرب والدعوة إلى التصالح والود والتعاون بين البشرية في الخير ومحاربة الشر، أما عن الكلمة النقيضة فهي السلم والسلام، وتأتي دائماً بعد عملية الصراع والحروب، حيث أن الحروب والنزاعات التي تحدث بين المجتمعات والدول فإن ذلك يقتضي البحث عن حلول للتهدئة وإنهاء الحرب ويخيم على الوضع أسباب الراحة والأمن الطمأنينة، ذلك هو السلم، فنقول السلام هو اسم لفعل ثلاثي: سلم، مسالم، السلامة،

¹ - المرجع نفسه، ص 43.

² - محي الشهابي، مرجع سابق، ص 44.

³ - سورة البقرة، الآية 30

سالم، سليم، وهذه الأسماء والأفعال جاءت بمعنى البراءة، والصلح والصلاح، الصفاء من كل العيوب والشرور¹، كما أنه اسم من أسماء الذات الإلهية "السلام" وذلك في قوله تعالى "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ"²، والسلام في اللغة اللاتينية مشتق من اللفظ pax ويعني حالة الوئام التي تكون عليها الدولة أو الجماعة من غير بادرة حرب والسلام paix باللغة الفرنسية وPEAC، هو حالة أي أمة أو دولة ليست في حرب، كما أنه يعني العلاقات غير الصراعية بين الناس وانعدام الأعمال العدوانية أو أي عنف داخل مجموعة بشرية، كما يعني الوفاق بين مجموعة بشرية متقاربة ومتصلة الروابط لإقرار السلام³، من هنا فإن موضوعة السلام تحمل ضمن معانيها دائما الوئام والوفاق والتواصل والأمن والهدوء، كل هذه النعوت تنتمي ضمن الحقل الفلسفي إلى مبحث القيم، أما السلام في الإسلام فهو الظاهرة الصحية للمجتمعات البشرية، إذ أن هناك نوازع وغرائز ربما يؤدي بعضها إلى الاقتتال خصوصا إذا ما تركت دون رادع أو وازع، وجاء القرآن الكريم ليصعد من هذه الغرائز والميول وينظم حياة الناس⁴، لذلك فإن نظرة الإسلام لم تكن على نفس نظرة الديانات أو المجتمعات الأخرى التي اعتبرت الحرب حتمية مرتبطة بالنظام الطبيعي إلا أنها زادت في من شرعيته وتبريره دون مبررات، أما الإسلام فقد كره الحرب والقتال على المؤمنين بل اعتبر قتل النفس من الكبائر وعظم النفس البشرية أكثر تعظيما عندما اعتبر أن من قتل نفسا كأنما قتل الناس جميعا، وبالتالي فإن الحرب الظالمة محرمة بحرمة النفس البشرية، أما إذا ارتبطت بأهداف دفاعية كالنفس والشرف والأرض والدين، هنا لا تسمى حربا بل جهادا في سبيل ما ذكر، وهنا تصبح الحرب حقيقة مشروعة، إلا أن الإسلام ممثلا في القرآن الكريم والرسالة المحمدية كان دائما يدعوا المجتمعات البشرية إلى التعاون والتضامن والتعارف، وبالتالي تحقيق التعايش السلمي بين هذه المجتمعات أين تضمن كل الناس حقوقها وتقاليدها ومحاربة الظلم والفساد.

¹ - إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج 1، د ط، ص، 446.

² - سورة الحشر، الآية 23

³ - قدور نورة، قيم الحرب والسلام في فكر برتراند راسل، مرجع سابق، ص، 127.

⁴ - يحيى الشهاني إبراهيم، مفهوم الحرب والسلام في الإسلام صراعات وحروب أم تفاعل في الإسلام؟ مرجع سابق، ص 44.

كان ذلك مجمل القول حول موضوعات الحرب والسلام والسياسات التي تدخل ضمن نطاقهما حيث تم الاختلاف إجرائيا في وضعيتهما فخرب الإسرائيلي على الفلسطيني يعتبره دفاعا والعكس صحيح بالنسبة لرؤية الفلسطيني فإنه يراها حربا غير مشروعة وحربه دفاعا، أما بالنسبة للسلام فالحديث عنه مطول إذ أن ادعاءات الغرب بزعامة أوروبا وأمريكا حول دعوات السلام إنما هو مجرد خداع وهي يحمل أهداف باطنية في ظاهرها نشر الأمن والسلم العالمي، وكل ذلك باستعمال جهاز هيئة الأمم المتحدة حيث احتلت أمريكا العراق بحجة مكافحة الإرهاب وشتت سوريا بحجة محاربة داعش ونشر السلام، كما أنها أنشأت قواعد عسكرية في عدة دول عربية بدعوى نشر السلام وحماية الأمن القومي لهذه الدول والأمن العالمي خصوصا، وبالتالي فإن السلام هنا قد يحمل في باطنه أهدافا استراتيجية تخدم أجندات تلك الدول التي تملك المقومات التي تساهم في امتلاك هذه الدول للقرار.

3. فكرة السلام طموح نحو العالمية:

دفعت بشاعة الحرب خاصة الحربين العالميتين بالمجتمعات الإنسانية إلى جدية التفكير في فكرة السلام عالميا بما يضمن كرامة الإنسان وعدم انتهاكها، وبالتالي تحقيق السلم والأمن العالمي ليصبح العالم خاليا من الصراعات والحروب. قد يبدو الأمر هنا مجانيا للصواب مناقضا للواقع خاصة وقد ذكرنا في سابق التعريفات عن الحرب بأنها ضرورية لاستمرارية الحياة. فهل قولنا بالعالمية للسلام ضرب من الخيال؟ ربما قد تكون الإجابة بنعم لأنه بالعودة إلى جذور الفكرة وتحققها نجد ذلك غير ممكن فلم يذكر لنا تاريخ البشرية خلو فترة لم تكن هناك حرب. بل حتى بالعودة إلى جذور الفكرة بدأ بالتاريخ اليوناني فإننا نجد الفيلسوف اليوناني أفلاطون في ظل الحروب والصراعات أين حاول التأسيس للمدينة الفاضلة، مدينة لا نجد فيها إلا السلام ولا وجود فيها للصراعات والحروب، كانت تلك أولى المحاولات للسلام وإن كانت في جوهرها تحمل بعدا سياسيا لكنها كانت طوباوية في طرحها إذ أن الحروب تواصلت ولم تتوقف، والطموح نحو عالمية السلام عاد من جديد خلال فترة العصور الحديثة أي تزامنا مع الحربين العالميتين وبعد موجة من التحولات مست الفرد والمجتمع من جوانب عديدة اجتماعيا وسياسيا ودينيا، وعلى إثر ذلك بدأ الإنسان حلمه نحو العالمية التي جاءت في معناها أي " أنها نزعة ترمي إلى اعتبار الإنسانية أسرة واحدة وطنها العالم وأعضاءها أفراد البشر جميعا دون اعتبار لاختلافهم في اللغة أو الجنس أو في

الوطن حيث قال بها الرواقيون قديما وأخذ بها بعض المعاصرين.¹ وعليه: فإن العالمية هنا فكرة تأخذ الاعتبارات الإنسانية بشكل عام دون الأخذ بعين الاعتبار تلك الحدود الثقافية والدينية والاجتماعية وكذا العادات والتقاليد ولا حتى الحدود الجغرافية، وطبعاً تكون الميزة أو الهدف الأبرز هو تحقيق السلام والأمن داخل هذا العالم، وكانت هذه المبادرة الأولى نحو عالمية السلام بعد تجاوز سلطة الديني المتمثلة في الكنيسة من خلال عمل الفيلسوف الألماني "كانط" المسمى تحت عنوان "مشروع السلام الدائم" والذي جاءت فيه الدعوات إلى نبذ الصراعات والحروب على اعتبار أنه لا طائل منها سوى نشر الرعب والفرع وتوسيع الهوة بين الأفراد ومن أجل كرامة الإنسان على هذه الأرض وحفظ السلام. دعا كانط إلى إعادة النظر في طبيعة أنظمة الحكم من حيث علاقتها بالتقويم الخلقي ونحن نعلم أن النزاهة أفضل سياسة وهذا يكون كانط قد أعاد الاعتبار للكرامة الإنسانية وهو يدعوا صراحة إلى طرح القوانين الوطنية جانباً والعمل على صياغة دستور عالمي يتمتع بالسلطة المطلقة حتى عندما يتعلق الأمر بقضايا الفساد التي تخص الحاكم والملك وكبار المستشارين،² من المشروع الكانطي كانط بدايات فعلية لتجسيد مشروع السلام العالمي والذي كان قد استمد جوهرها من ذلك الهدوء الذي يخيم على المقابر من ذلك الاعتبار ذهب كانط إلى فكرة العمومية والتي من شأنها إعطاء الحرية للأفراد في التعبير عن الآراء والاستعمال النقدي للعقل ولن يكون ذلك إلا بوجود السلام وانتهاء الصراعات داخل العالم، لكن مع ذلك وإن كانت الفكرة الكانطية لقيت صدى واسعاً لدى رجال القانون والمنظمات الحقوقية إلا أن الحروب وانتهاك كرامة الإنسان تتواصل وإن كانت حرباً باردة، مع ذلك فالفكرة العالمية للسلام تتواصل على أساس مبدأ العمومية وحرية استعمال العقل قد فتح المجال لعدد من المفكرين والفلاسفة لتبني فكرة السلام. فهذا الفيلسوف الإنجليزي "برتراند راسل" كانت له الحماس الكبير في محاربة كل أشكال الفساد والحروب ونشر السلام، وقال ذلك لن يتحقق إلا مع الحكومة العالمية التي ستملك كل القوات المسلحة وستبدأ بنشر العلم والمعرفة والرفاهية في العالم بالتساوي ثم تقوم على خفض معدلات الزيادة السكانية مما يحفظ الغذاء والتربة في العالم وهذه

¹ - مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ط 1، د ت، ص 116.

² - محمد لبن قوادري، أ د محمد بن علي، مقارنة بين مشروع السلام العالمي عند إيمانويل كانط والفنون الخطائية عند يورغن هابرماس والصحة الكونية عند جوديث بتلر، مجلة التواصل، المجلد 28، العدد 2، ديسمبر 2018، ص 43.

الرؤية صعبة في الوقت الراهن لكنها ممكنة وضرورية في يوم ما وضرورية لاستمرار الإنسان وتقدمه وحضارته.¹

ان استماتة راسل في دفاعه عن الحق وعن الفئات المظلومة ونبذ الصراعات والحروب جعلت منه شخصية عالمية ذات صيتها على المستوى العالمي فعلى الرغم من المضايقات التي تعرض لها والتي أدخلته السجن نتيجة مواقفه ضد الحروب والظلم ونذكر من بين المواقف التي كانت سببا في الزج به داخل السجن، معارضته للحرب العالمية الأولى سنة 1918 والمشاركة في المظاهرات السلمية المعارضة للتخصيب النووي 1961، فكل هذه المضايقات زادتة أكثر حماسة ومواصلة الدفاع عن الظلم وتحقيق السلام وفي ذلك يقدم لنا راسل اعترافا يثبت فيه الجانب الإنساني في شخصه وذلك في قوله: " ليس هناك من عمل يستغرق كل حواسي ولم يخامرني فيه تردد مثل عملي في الدعوة إلى السلام التي تحمست لها من خلال الحرب ولأول مرة أجد شيئا يستغرق كل كياني فألقى بنفسه داعية للسلام بمعارضة الرأي العام.²

يبدو هنا أن راسل من خلال كتاباته ودعوته المناهضة للحروب أن دعوته للسلام العالمي إنما ينم عن تلك النزعة الإنسانية التي تتجرد من الاعتبارات الدينية والعادات والتقاليد، فكل ما هو ينتمي إلى الجنس البشري يدخل ضمن دائرة من يمسه العيش في سلام وكرامة ومن خلال ذلك يعترف راسل بقوله " أن النزعة الإنسانية الأصيلة تثور غضبا لمجرد التفكير فيما قد يحدث إذا ما جلسنا مكتوفي الأيدي إزاء النازيين وأكد أن القوة أمر ممكن لإنشاء حكومة السلام العالمية. لقد كان يعتقد أن الشيء الوحيد المهم هو الدعوة إلى السلام وجعل الرأي العام أكثر تشككا في قيمة الحرب والتسلح وأن الحكومة في حالة الحرب ستكون في مواجهة مقاومة سلبية كما عمل هو في الحرب العالمية الأولى مناشدا الحس السليم والإنسانية مشددا على الاستفادة من السلام والحرية،"³ هذا وقد قال راسل بأن تحقيق عالمية السلام يحتاج إلى مؤسسة عالمية تملك مؤهلات القوة والسيطرة من شأنها تطبيق وفرض القانون الدولي على ما يخالفه.

¹ - قدور نورة، قيم الحرب والسلام في فكر برتراند راسل، مرجع سابق، ص: 128.

² - وود آلان، برتراند راسل، بين الشك والعاطفة، تر: رمسيس عوض، دار أندلس، بيروت، لبنان، ط 1، 1984، ص 95.

³ - قدور نورة، قيم الحرب والسلام في فكر برتراند راسل، مرجع سابق، ص: 129.

إن نظرة راسل وتصوراتها للسلام ما هي في الحقيقة إلا امتداد لفكرة السلام الدائم. حقيقة إن ما خلفته الحروب من أخطار ومآسي على البشرية خاصة وأنها خرجت عما رسمه المنظرون لمشروع الحداثة، فإن تلك الفظائع زادت من حدة الاستنفار والقلق اتجاه هذه الأحداث. فكل معني بضرورة التدخل ضد هذه الأحداث لهذا السبب ظل راسل يؤكد على أن الشيء الوحيد الذي يحرر البشر هو الاتحاد والتلاحم، فمن واجب كل إنسان أن يساعد بنزاهة على إقامة آلية عالمية قوية وفعالة بحيث تشترك في تشييدها جميع الشعوب والأمم والعمل على تأسيس حضارة إنسانية واحدة دون إقصاء لأي ثقافة من الثقافات الأخرى¹، وتأسيساً على ذلك فإن الأمر يحتاج تضافر كل الجهود بمختلف فئاتها من منظمات وجمعيات إنسانية وهيئات دولية من شأنها حماية الشعوب والتأسيس لقانون دولي فعال يحمي حق هذه الدول ومجتمعاتها، إن مواصلة النضال لبلوغ عالمية السلم أمر محتوم تفرض الحروب المستمرة والمتواصلة لانتهاك حرمة البشرية وما ظهور منظمات دولية لحماية حقوق الإنسان والبيئة والحيوان، ومنظمات حماية حرية الإنسان والرأي إلا دليل على أن ثقافة نشر السلم والتعايش بين الثقافات مازالت مستمرة، ومن بين الفلاسفة الذين ذاع صيتهم في مثل هذه المواقف لمناشدة السلم دعوة الفيلسوف الإنجليزي "جون ستيوارت ميل" كذلك إلى السلام واحترام الحريات وفي قد صرح قائلاً في كتابة الموسوم بالحرية: "لو كانت الإنسانية كلها عن رأي باستثناء شخص واحد، وكان لهذا الشخص رأي مخالف لرأي الإنسانية جمعاء لما كان للإنسانية حق فرض الصمت عليه، وإن لم يكن لرأي ما أي قيمة إلا عند صاحبه، فمن الواجب احترامه والدفاع عن حقه في أن يقول ما يريد حتى وإن كان الشخص المدافع عنه لا يوافقه بالضرورة، وبمجرد أن نمنع شخصاً من التعبير عن رأيه نكون قد سلبنا الإنسانية كلها حقها². وما الحرية إلا أحد الجزئيات من حياة الفرد خاصة والمجتمعات بشكل عام إلا أنها أمر مهم فاعتراض الشخص ومنعه من قول الحقيقة، إنما هو استعمار واحتقار للإنسانية جميعاً فقتل طموح الفرد نحو التعبير عن الحقيقة أو عن رأيه إنما هو في الواقع طمس للحريات وتعطيل لقيم التعايش والسلام، لأن طمس الحرية هو حقيقة

¹ - محمد لبن قوادري، أ د محمد بن علي، مقارنة بين مشروع السلام العالمي عند إيمانويل كانط والفنون الخطائية عند يورغن هابرماس والصحة الكونية عند جوديث بتلر، مجلة التواصل، مرجع سابق، ص 43.

² - المرجع نفسه، ص 44.

قتل للسلام في حد ذاته لأن عدم احترام آراء الآخرين يعني أنك ترفض ثقافة التعايش السلمي بين الآخرين وهو ما يناشده المجتمع الدولي بمختلف هيئاته العالمية من أجل نبذ الصراعات والحروب وعدم تدخل الدول في الشؤون الداخلية لأي بلد واحترام الحقوق والحريات واحترام المسؤوليات اتجاه الأجيال القادمة. إن إرساء ثقافة التعايش والسلام تساهم في تحقيق الأمن الغذائي وكذا سلامة الشعوب ولأجل ذلك يجب تفعيل الحقيقي لقانون دولي يمكن تطبيقه على جميع الشعوب على اختلاف ثقافتها وحدودها الجغرافية.

4. مقاربات مشروع السلام الدائم عند كانط والكونية عند هابرماس حدود

التلاقي والتنافي:

يحق القول إن ما تركه صاحب النزعة النقدية إيمانويل كانط كان إرثا عظيما استلهم الفلاسفة والمفكرين من بعده، فهذا مشروعه حول تحقيق السلام الدائم كان من أهم الأفكار التي اشتهر بها كانط وذلك من خلال تبني الفكرة وهذا على خلفية الحروب والصراعات التي شهدتها العالم، فكانت إذن تلك الفكرة الكانطية قد أحييت الضمائر الميتة، أحييت الجانب الإنساني في كل مفكر وفيلسوف يستطيع قول الحقيقة ومناشدتها، من هنا امتدت فكرة السلام الكانطية وتم إحيائها. سنحاول في هذا العنصر تناول الفكرة وتطورها في شكل مقارنة بينها وبين مشروع الكونية التي قال بها فيلسوف الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت يورغن هابرماس، والوقوف عند أهم نقاط التلاقي مع استعراض نقاط الاعتراض بينهما. فأولا بالنسبة لكانط يشكل مرجعا أساسيا في بناء فلسفة هابرماس، حيث أن هابرماس نفسه يعترف ولا يخفي الدين الكانطي، بل إنه يعده دليلا المرجعي في مشروعه للصياغة الفلسفية من حيث هي مشروع غير مكتمل ذلك أن كانط يعبر عن العالم الحديث في بناء فكري بحيث أن الخصائص الكبرى للعصر تنعكس في مرآة فلسفة كانط¹. وعليه: فإن نقطة الانطلاق نحو تصويب مشروع الحداثة عند هابرماس كانت بفضل كانط، وذلك من خلال مشروعه إذ أننا نجد نقطة الاشتراك الأساسية هي ذلك المشروع النقدي بينهما، فكانط اعتمد على المشروع من خلال فلسفة التنوير وتجاوز عصور الظلام التي خلفتها الكنسية وجاء هابرماس بعده متأثرا بنقدية كانط نحو تصويب مشروع وقد كان جور هذا التأسيس النقدي على فكرة العمومية التي

¹ -Habermas: Critique de la Philosophie de la Modernité, Gallimard, 1988, p 23.

تعني عند كانط الانتقال بالفرد من حالة القصور التي يعيشها أو التي عاشها خلال فترة الكنيسة إلى استعمال العقل في النقد وتصويب ما هو زائف ومن هنا يمكننا القول ان كانط يصاحب هابرماس في جهتيه النقديتين نظريا في مواجهة التقليد الميتافيزيقي وعمليا في مواجهة أشكال التعصب الديني والسياسي محافظا على جوهره التنويري الذي يراه لا يزال صالحا وناجعا وقابلا للتوجيه والتسديد ضد النزاعات التفكيكية وما بعد الحداثية التي تلغي في راديكالياتها كل أشكال البرهنة والنقاش العمومي،¹ ومن خلال هذا السياق الذي ينطلق من فكرة العمومية يبدأ التأسيس للصرح القيمي الذي قوامه بناء نموذج أخلاقي عام ذلك ما أطلق عليه كانط بمشروع السلام الدائم وهو أحد الكتابات الهامة في تاريخ الفكر الفلسفي وعليه ينصب اهتمامنا الأساسي بشكل خاص ونقطة الارتكاز الذي يحاول على أساسها كانط بناء مشروعه حول السلام هي تلك الأسئلة الجوهرية الثلاثة والتي كانت جوهر كتبه النقدية الثلاثة (نقد العقل المحض، نقد العقل العملي، نقد ملكة الحكم)، وقبل ذلك فإن مشروع السلام الدائم يهدف من خلاله الإنسان إلى معرفة ما يمكن وما يجب على الإنسان أن يفعله بنفسه من حيث هو كائن يمارس نشاطه العملي بحرية،² والذي يستند على أسئلة جوهرية ثلاث هي (ماذا يمكنني أن أعرف ؟ ماذا يجب عليا أن أفعل ؟، ثم ما هو المسموح لي بأن أرجوه؟). هذه الأسئلة تخلص لنا سؤالا عما وهو ما هو الإنسان؟³

انطلاقا من تلك الأسئلة الجوهرية يحاول كانط التأسيس لنظرية في السلام الدائم، وفي السياق ذاته يستند إلى دعامة أساسية من شأنها الدفع بنظرية السلام نحو التحقيق، وتتمثل هذه الدعامة في القانون الذي يقر كانط على أنه " الفعل العادل الذي يسمح بتعايش حرية كل فرد مع فرد آخر بحسب قانون كلي بحيث تسمح قاعدته المعيارية بهذا التعايش".⁴

إن اعتماد كانط في موضوعه السلام الدائم على مبدأ القانون العام لكنه ليس ذلك القانون المستمد من الطبيعة، ولا المبني على منطلقات اعتبارية محضة، بل إن القانون

¹ - ولد أباه عبد الله، نظرية كانط في السلام الدائم، مجلة المحور، د.ع، د.س، ص 214 ،

² - Kant , ahnthopologie du poit de vue pragmatique tard renaut garnier , flammation , 1993.

³ - ولد أباه عبد الله، نظرية كانط في السلام الدائم، مرجع سابق، ص، ص 214 - 215.

⁴ - المرجع نفسه، ص 116.

الذي يعول عليه كانط ذلك الذي يقبل الصياغة الكلية أي أن مبادئه وشروطه قابلة لصياغة كلية تسمح للأفراد بتحقيق التعايش بينهم وبذلك تكون أولى دعائم التأسيس لتحقيق السلام.

إن اعتماد كانط على القانون كدعامة رئيسية من شأنها أن يلعب دورا اجتماعيا إذ من خلاله يلتزم الفرد بناء على الضمير الأخلاقي النابع من الذات إلى الربط بين الفعل المدني والسياسي، وبين الجماعة أو الآخرين، بمعنى أن الدافع الأول للكلية القانون هو الضمير الأخلاقي الذاتي الذي تمليه دافعية الواجب وهي قاعدة أساسية في أخلاق الواجب عند كانط يعنى ان مبادئك وأخلاقك بمثابة قاعدة عامة للجميع، تجدر بنا الإشارة هنا إلى نقطة هامة وهي الربط بين الحالة الأخلاقية (فكرة العدالة مقابل فكرة الخير) والحالة المدنية التي تعبر عنها الفكرة الجمهورية التي ليست شكلا من أشكال أنظمة الحكم وإنما طريقة للحكم تقوم على شرعية القانون وتمايز السلطات بيد أن هذا المثال القانون يظل محدود الأثر والفاعلية إذا بقي في حدود الدولة ومن هنا تظهر ضرورة تمديد حقوق الإنسان الجوهرية التي تدور حول قيمتي (الحرية والمساواة) إلى الدائرة الإنسانية الرحبة إلى عموم أفراد العائلة الكبر بتصور قانون كوسمبوليتي يتجاوز مجرد النزعة الإنسانية الطوباوية.¹

لم ينتبه كانط إلى محدودية القانون الذي بنى على أساسه مشروعه حول السلام الدائم إلا حين ملامسته للتطبيق أين بانته حدوده الضيقة التي كانت محصورة في قومية الدولة دون أن تتعداها لأن القواعد الأخلاقية التي أسس عليها القانون كانت قواعد ذاتية ولأجل ذلك حاول كانط التوسيع من دائرة مشروعه من خلال الاعتماد على القانون الكوسمبوليتي بعد التخلي عن الطوباوية المحصورة في دولة الشعب أما توسيع القانون الكوسمبوليتي يعتمد على ائتلاف الجمهوريات الديمقراطية والمجتمع المدني العالمي شرطا للخروج من حالة الحرب المدمرة وتحقيقا للسلم الأبدي الشامل.²

من خلال ما سبق ذكره يمكننا القول أن مشروع كانط حول نظرية السلام وإن كانت في طرحها مثالية خاصة وانها انطلقت من أخلاق الواجب المجردة من المنفعة، إلا أن الظروف والأرضية التي طرحت على أساسها فكرة السلام قد عايشها كانط خاصة الحروب

¹ - ولد إياه عبد الله، مرجع سابق، ص 117.

² - المرجع نفسه، ص 118.

الصليبية وأحداث الثورة الفرنسية التي من خلالها تم الإعلان العالمي عن حقوق الإنسان وقد كانت من نتائج نظرية السلام الدائم التأسيس لما يسعى بعصبة الأمم لحفظ السلام الدولي التي ظهرت بعد أحداث الحرب العالمية الأولى وعليه: فإن المنظمات الدولية وعصبة الأمم كانت انعكاس لمشروع السلام الكانطي إلا أنها لم تساهم في إيقاف الحرب، بل أكثر من ذلك زادت شدة الصراعات والتوترات العالمية خاصة أن تلك المنظمات التي كان تأسيسها هدفاً لنشر السلم وثقافة التعايش مع الشعوب وحفظ الأمن العالمي فإنها قد وقعت في قبضة الدول العظمى واستعملتها لتحقيق سيطرتها على الدول الضعيفة، لذلك كانت رسالة كانط حول السلام الأبدي من أكثر كتاباته انتشاراً وتأثيراً، فهي كتابه الوحيد الذي أعيد نشره 12 مرة كما أنه بسبب تلك التحولات التي شهدتها العالم الحديث والمعاصر خاصة الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة نوقش على نطاق واسع من طرف الفلاسفة والمفكرين المعاصرين له خاصة هيجل ونييتشه وحتى سارتر الذي دافع بشدة عن حق الشعوب في تقرير مصيرها والتحرر من الاستعمار، وفي ظل هذه التوترات يأتي الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس داعياً إلى استنطاق كانط وتحويره وفق تحديات وتحولات القرن العشرين. من هنا نلتمس تأثر يورغن هابرماس بفكرة السلام الدائم من جهة متأثراً ومن جهة ثانية متجاوزاً. فمن جهة التأثير اننا نجد هابرماس إضافة إلى مبدأ العمومية السالف الذكر والذي أسس له بما سماه الفضاء العمومي وهو أول عمل يقوم به، الذي مفاده ضرورة وجود حيز يجمع جميع أفراد المجتمع أين يتم التداول بشكل جماعي يحق لكل فرد أن يبدي رأيه وهذا أولى بؤادر التأسيس للتعايش، كما أن الاهتمام بالقانون كان من بين أهم اهتمامات هابرماس حيث نجده قد استعاد الأطروحة الكانطية حول القانون من حيث هي نقطة التأليف بين الطبيعة والحرية بين الفلسفة النظرية والعملية أو بلغة هابرماس بين الوقائع والمعايير بين الاستقلالية الفردية والاستقلالية الجماعية بين حقوق الإنسان والسيادة الشعبية وبين الأخلاق الوضعية والقانون الوضعي¹ يبدو من خلال هذا الطرح الكانطي للقانون والذي بدى بالنسبة لهابرماس غير كاف في ظل التحولات التي لم يكن كانط على دراية بها إذ أن فلسفة القانون التي تحدث عنها كانط لا تتجاوز حدود الدولة القومية وإن كان المشروع يحمل في جوهره بعداً عالمياً،

¹ - المرجع نفسه، ص 117

ومن هنا جاء هابرماس متجاوزا لكانط في أنه قد أضاف بعدا ثالثا وهو قانون المواطنة العالمية المضاف إلى قانون الشعوب وقانون الدولة وهذه الصياغة التي أضافها هابرماس يترتب عنها تأكيد الترابط العضوي بين دولة القانون الديمقراطية القائمة على حقوق الإنسان وقيام نمط من الحالة القانونية النازمة للعلاقات الدولية وصولا إلى هدف بناء حالة قانونية شاملة توحد بين الشعوب وتحول دون حروب.¹

نلتمس هنا تأثرا مباشرا بكانط إذ أنه ينطلق من الفكرة ذاتها وهي محاولة الوصول إلى وضعية قانونية شاملة تتضمن وجود قانون عالمي واحد بما يضمن تعايش المجتمعات داخل نسق واحد والذي على أساسه يؤسس لمشروع الدولة الكونية ولكن قبل ذلك يقف هابرماس على أهم العثرات التي وقع فيها كانط، ومن ضمنها مفهوم الحرب عند كانط والتي بقيت محصورة في بعض النزاعات بين دول وأحلاف دون التفكير في تطور هذه النزاعات واتساع رقعتها مثلما يحدث راهنا مثل الحروب العالمية والحروب الأهلية والإرهاب الدولي، كما أن كانط لم يكن على علم بأن التقنيات العسكرية حولت الحرب إلى ساحة كونية وكيف قضت على معيار التمييز بين الجيوش المحاربة والمدنيين العزل، فضلا عن ذلك فإن كانط لم يحسم الإشكال الذي يطرحه التوفيق بين واقعية الخيار الائتلافي بين الدول المستقلة الذي لا يخرج عن نطاق القانون الدولي (المانع سلبا للحرب) وخيار ائتلاف الشعوب الذي يأخذ شكل الرابطة التعاقدية الدائمة التي لا يمكن أن تتمتع بفاعلية عملية من دون أن تأخذ سمة الدولة المتمتعة بالسلطة الإلزامية.²

يحاول هابرماس هنا الإشارة إلى وجود تناقض ما بين القانون الدولي الذي تسير وفقه الدول في زمن كانط والذي يتوقف دوره في محاولة منع الحروب لأن أطروحة السلام كانت تبدو بعيدة التحقيق في تلك الظروف وهو ما نلتمسه من خلال محاولة الربط والائتلاف بين الشعوب العالمية وهي تحت وقع الصراعات والحروب واختلاف الثقافات. إن مثالية الطرح الكانطي وأسباب أخرى راهنية جعلت من هابرماس يعيد النظر في نظرية السلام الأبدي على ضوء المستجدات العالمية.

¹ - j , Habermas: La Paix Perpétuelle: le Bicentenaire d'une Idée Kantienne, Cerf, 1996 , p 07 ,

² - ولد أباه عبد الله، نظرية كانط في السلام الدائم، مجلة المحور، د ع، د س، ص، 119.

5. مشروع الدولة الكونية عند هابرماس:

انطلاقاً من التحولات السياسية والاجتماعية التي يشهدها الوضع العالمي الراهن وتطور علاقات الدول سياسياً واقتصادياً بالإضافة إلى تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتنامي ظاهرة الإرهاب الدولي، كل هذه الأوضاع دفعت بفلاسفة العصر إلى التفكير الجدي إنهاء النزاعات والحروب. هنا استدعى الفكر الغربي راهنية كانط وهو ما دأب عليه الفيلسوف هابرماس، بل إن فكرته " الدولة الكونية " هي بمثابة نسخة محدثة للسلام الأبدي لدى كانط بظروف وراهن مختلف، وبالتالي دون شك فإن فكرة الكونية هي امتداد لفكرة العالمية والعمومية لكانط شرط الاختلاف في الشروط والإجراءات، من هنا ينطلق هابرماس في مشروعه الكونية الذي ساهمت الحروب خاصة الصراع الثقافي والإيديولوجي بين الدين والعلمانية وكذا تنامي الإرهاب الدولي بالخصوص أحداث برجي التجارة العالمية بالولايات المتحدة الأمريكية فضلاً عن مثالب مشروع الحداثة وما خلفته من حروب تقنية. كلها ساهمت في محاولة هابرماس تصحيح وتصويب تلك الشروحات التي وقع فيها العقل الحداثي.

إن مشروع هابرماس يتصور دولة كونية يتحقق فيها التعايش السلمي بين المجتمعات وتطور العلاقات بين دول العالم والاتفاق على ثقافة ولغة موحدة حيث ينطلق من تشييد المدينة الكونية على أساس فكرة الكلية عند كانط ولكن يحاول أن يعيد بناء أسس متينة، ووفقاً لذلك يتخذ من العقلانية التواصلية في مقابل العقلانية الأداتية كمحور بداية نحو تحقيق الكونية، حيث يبدأ بتطهير العقل الأداتي وتبديله بفعالية العقلانية التواصلية ذلك هابرماس انطلق أساساً من تعليق مشروع الحداثة، والقول بعبارة " الحداثة مشروع لم يكتمل " محاول بداية الحد من سطوة العقل الأداتي المتوحشة التي شجنت الإنسان بثقافة التثنية وعبادة الاستهلاك والربح السريع لنلتمس ذلك في تأثر هذه الثقافة بمجالات الحياة الفنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بمعنى أصبح المحرك والمعيار الأساسي لهذا العقل هو الاستهلاك وتحقيق الأغراض النفعية، مما أدى إلى إفراغ الإنسان من الجانب الروحي. في ذلك يؤكد هابرماس " ان عقلانية العلم والتقنية إنما هي محايدة لعقلنة التحكم والسيطرة " ¹، وبذلك ثمن المكاسب التي حققها مشروع الحداثة في بعض

¹ - هابرماس يورغن، العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، كولونيا، ألمانيا، ط 1، 2003، ص 48.

المناحي، لكن ما أثار هابرماس التقنية السائلة أو الحداثة السائلة بتعبير الفيلسوف البولندي "زيغمونت باومان" ليحاول تصحيح المسار من خلال العقلانية التواصلية. إن الدولة العالمية عند هابرماس وإن كانت لها جذور قبل كانط في الفكر اليوناني وتحديدًا عند الرواقيين إلا أن رؤيتهم لتأسيس دولة عالمية لم تكن بالمعنى الحقيقي، إنما كانت طموحا يسعون من خلاله إلى تحقيق ذلك، ونتيجة لزيادة متطلبات الحياة وكذا التطور التكنولوجي فإن الطموح زاد بشدة إلى التأسيس للدولة العالمية الكونية أو كما يصطلح عند هابرماس بما بعد الدولة القومية، وانطلاقا من ذلك استند هابرماس في على بعدين أساسيين هما انبثاقها القانوني وثانها أساسها النقاشي التشاوري داخل الفضاءات العامة التي يمكن أن تصبح عابرة لمفهوم الدولة القومية،¹ تجدر الإشارة هنا إلى نقطة مهمة خاصة أنه انتقد فيها إيمانويل كانط وهي القانون الذي حصره في الدولة القومية دون الانتباه إلى المتغيرات التي قد تحدث والتي منها وسائل التواصل التي يشهدها العالم اليوم حيث تجاوزت في أبعادها الدولة الوطنية، لهذا تكييف القانون وفق مجرياتها، والنقطة الثانية التي يعول عليها هابرماس كثيرا هي إحدى متطلبات العقلانية التواصلية المتمثلة في اتقاء المناقشة وأخلاقيات الحوار والتواصل بين المواطنين داخل الفضاءات العمومية، وذلك نقطة هامة في فلسفة هابرماس، إذ أنه من بين دراساته التي اهتم به تلك المتعلقة بالفضاء العام باعتباره الأرضية أو الحيز الذي يتيح فرصة النقاش ويحق فيه لكل فرد إبداء رأيه وهنا تتجسد فعليا العقلانية التواصلية ولهذا قد اعتزم هابرماس بالفعل تجاوز مفهوم الدولة الأمة وكانت نقطة انطلاقه المواطنة التي تفككت برأيه إلى ثلاثة عوامل وهي المبادئ السياسية العامة التي لم تنتظم حولها المواطنة لم تعد أولا حkra على أمة خاصة وثانيا التحديث الثقافي أي المشهد المؤسسي الذي يبقي على بعض أشكال التعبير حبسية من خلال تفصيله إلا لواحدة منها هي النزعة الثقافية التعددية، وهناك عامل ثالث هو وسمة المساواة بين المواطنة والجنسية التي ستناقضها ظواهر الهجرة والتوحيد الأوروبي، وبفضل هذه الأطروحات سيعلم هابرماس في البداية موقفا مؤيدا لنزعة دستورية ثم لتكامل ديمقراطي في المجتمعات المتعددة الثقافات ثم لنظام جديد

¹ - المحمداوي علي عبود، الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، تونس، ط 1، 2015، ص 339.

قائم على القانون الدولي.¹ وعليه: فإن تحقيق الكونية أو الدولة العالمية التي دأب هابرماس على تحقيقها اقتضت تفكيك الأسس التي تقوم عليها المواطنة في الدولة القومية لكيلا تصبح حكرا على المواطنين داخل تلك الدولة وهنا تفتح مشكلة الجنسية، ناهيك عن ذلك التعدد الثقافي بين المجتمعات باعتباره شرطا أساسيا أي قبول ثقافة الآخر والتعايش معه وهذا تم تفكيكه بناء على عدة عوامل منها عامل الهجرة وكذلك تحقيق المواطنة العالمية يقتضي حل إشكالية الجنسية وعلاقتها بالمواطنة القومية. كل هذه العوامل قام هابرماس بتحليلها لتتوافق مع الفضاء العمومي الذي يتميز بحسبه بتوفر أخلاقيات النقاش ومن هنا يتسنى لنا تحقيق عقلانية تواصلية وفق متطلبات الدولة الكونية.

خاتمة:

إن مطلب السلم العالمي فكرة لها جذورها التاريخية منذ بدايات الحروب الأولى في تاريخ البشرية، إلا أن الطموح لم يكن بمستوى التطلعات المطلوبة، ومع زيادة شدة الحروب وتطور الأسلحة الفتاكة مما نتج عنه ارتفاع ضحايا الحروب، مما استدعى أن يكون المطلب نحو السلام أكثر جدية مما كان من قبل، وكانت قوة التنظير لدى كانط مع عصر التنوير كبداية نحو الجدية الفعلية لتحقيق السلام العالمي ليضيف هابرماس بعدا تطبيقيا أقوى وذلك عندما قدم طرحا بديلا وهو المدينة الكونية القائمة على العقلانية التواصلية وإن كان موقف هابرماس أكثر واقعية خاصة وأن مشروع تجسد نسبيا في الاتحاد الأوروبي الذي شكل بعدا مصغرا للمدينة الكونية، وأيضا في محاولته تحقيق التعايش بين العلمانيين والمتدينين وفق نظريته مجتمع ما بعد العلمانية إلا أن مالا يعاب في فلسفة هابرماس رغم ملاحظتنا التماس بعض الانعكاسات لفلسفته الكونية خاصة منها القوانين الدولية ومجلس الأمن، إلا أن هذه المنظمات الدولية بسبب الإيديولوجيات والتعدد الثقافي بقيت تحت سيطرة الدول العظمى لخدمة مصالحها ومع ذلك يبقى مشروع السلام الدائم مطلبا مستمر مادامت هناك حروب .

¹ - المرجع نفسه، ص 340.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم

- 2-J.Habermas: La Paix Perpétuelle: le Bicentenaire d'une Idée Kantienne, Cerf, 1996
- 3-Habermas: Critique de la Philosophie de la Modernité, Gallimard, 1988
- 4-Kant , ahnthopologie du poit de vue pragmatique tard renaut garnier , flammation , 1993 .
- 5-إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، تركيا، ج أ، دون طبعة، دون سنة.
- 6-ابن خلدون عبد الرحمان، مقدمة ابن خلدون، المطبعة الميرية، القاهرة، مصر، 1965
- 7-حمد لمن قوادري، أ د محمد بن علي، مقارنة بين مشروع السلام العالمي عند إيمانويل كانط والفنون الخطائية عند يورغن هابرماس والصحة الكونية عند جوديث بتلر، مجلة التواصل، المجلد 28، العدد 2، ديسمبر 2018.
- 8-قدور نورة، قيم الحرب والسلام في فكر برتراند راسل، مجلة متون، جامعة سعيدة، العدد 14، المجلد 2
- 9-المحمداوي علي عبود، الإشكالية السياسية للحدث من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، منشورات ضفاف، تونس، الطبعة 1، 2015.
- 10-مذكور إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، الطبعة 1، دون تاريخ.
- 11-هابرماس يورغن، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة: حسن صقر، كولونيا، ألمانيا، الطبعة 1، 2003
- 12-ولد أباه عبد الله، نظرية كانط في السلام الدائم، مجلة المحور، دون طبعة، دون سنة.
- 13-وود آلان، برتراند راسل، بين الشك والعاطفة، ترجمة: رمسيس عوض، دار أندلس، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1984
- 14-نجي الشهابي إبراهيم، مفهوم الحرب والسلام في الإسلام صراعات وحروب أم تفاعل في الإسلام؟ منشورات مؤسسة مي للطباعة والنشر، الطبعة 1، 1990.